الى تفنيد « المزاعم » القائلة بأن هذه الصفة أمر مؤقت وعارض تحتمه ظروف اسرائيل الراهنة. انه يجهد ليبرهن على أن النزعة الدينية ما زالت سائدة ومسيطرة على جميع اليهود ، على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، وبما فيهم الفئات الاشتراكية المنادية بالعلمانية . ان اليهود المطالبين بفصل الدين عن الدولة لا يشكلون — في رأيه — الا اقلية ضئيلة لا وزن لها ، وان الاوضاع الراهنة في اسرائيل لا تنبىء ابدا باقتراب ساعة العمل بنظام علماني ، وان أكبر خطر يهدد تلاحم اليهود ووجودهم ، حتى خارج اسرائيل ، هو تلك النسبة، التي أخذت ترتفع تدريجيا ، من الشبان اليهود الذين يتزوجون بغير اليهوديات فيبتعدون بذلك عن روح اليهودية .

وآراء المؤلف تفضح الاتجاه الديني التيوقراطي السائد في اسرائيل . وهذا الاتجاه يتعارض كليا مع الشعارات العلمانية التي رفعها ، او يرفعها ، زعماء الصهيونية . فهرتزل كان يدعي انه يريد رؤية التيوقراطيين ، في الدولة اليهودية المقبلة ، قابعين في معابدهم كما يقبع الجنود في ثكناتهم . وبن غوريون رفض — حفاظا على مبدأ العلمانية — ان يتزوج حسب المراسم الدينية . وحاييم كوهن، القاضي في المحكمة العليا ، تزوج بمطلقة حينما كان يمثل اسرائيل في لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة . وهو القائل : « اليهودي هو الذي يعتبر نفسه يهوديا » . وهذه المواقف العلمانية لا تخدع احدا ، او لا تقنع احدا ، اما لانها ليست صادقة ، واما لانها معدومة الاثر والتأثير . لقد قال كاتب يهودي اخر ، هو عاموس الون في كتابه « الاسرائيليون » (الصادر في نيويورك عام ١٩٧١) : ان القوة الفعلية للمتدينين في اسرائيل تفوق بكثير قوتهم الانتخابية المتمثلة بالـ ١٥ ٪ من الاصوات . ان لدى القيادة الاسرائيلية نوعا من التدين الخاطىء ، الوراثي، الاسطوري ، الذي يأتي لتعزيز هذه القوة . وتدين النخبة السياسية (مضافا الى القوة السياسية المباشرة التي تتمتع بها الاحزاب الدينية) يتجه اليوم نحو احداث انقلاب في المبادىء العلمانية التي كان يدين بها قسم كبير من الرعيل الصهيوني الاول .

وبقيت نقطة نود الاشارة اليها . ان المقدمة التي وضعها الناشر لكتاب « **من هو اليهودي ؟** » تختلف باتجاهها مع اغراض المؤلف وافكاره . ان الناشر يعجب لاجتماع تسعة قضاة من الحكماء المسلحين بالعلم والتجربة ، ولمدة عام او اكثر ، من اجل ايجاد حل لقضية تجد حلا يوميا خارج غرفة المحكمة العليا : في المناقشات التي تدور في المقاهي ، ومن خلال حملات التضامن التي ينظمها يهود العالم ، وعبر كل تصرف انتهازي يصدر عن الساسة ، « فليس ثمة احد يطالب بتعريف اليهودي : ان اللاسامية تعرفه كل يوم ... وليس في مناقشة المحكمة العليا اية غرابة . اننا نجد فيها التقليد الكبير للدعاية اليهودية . لقد قيل غالبا ان الدعاية الاكثر لاسامية هي الدعاية اليهودية . ومن المحتمل ان يكون ذلك قد قيل للدلالة على ان الدعاية اليهودية تتميز بمناخ فكري يستدعي البحث المستمر عن النقائص ، والاستمرار في المعارضة ، وقطع الشعرة الى اربعة ، بغية تغيير اللعبة العالمية » .

والخلاصة ان هذا الكتاب جاء يؤكد ، مرة اخرى، نظرة الصهيونيين الى الدين والقومية ، ورفضهم الشديد للفصل بين الاثنين ، وادعاءهم الدائم بأن اليهودية قومية ودين معا ، وان كل فصل بينهما يفقد اسرائيل الاساس الذي تقوم عليه .

الدكتور محمد المجذوب